الى الاستاذ الشاعر سعيد عقل

الحرف (١) في الكلمة دعامة في صرح ، او هو جذر في غرسة ، فكلما كانت الدعامة متينة ، والجذر ريانا ، كان البناء متينا ، راسخا ، والغرسة جميلة ، مزهرة خلابة . وحقا انه في البدء كانت الكلمة ، ولكن الحرف هو العامل الاول في تكوين الكلمة ، الذي كثر وهذب حتى كان الركن البناء في وسائل التعبير والمحادثة بين الشعوب ، فكانت الآداب ، وكانت العلوم والفنون ، والفلسفة والمدنيات ، ذلك كله بفضل الحرف حين تبناه الفكر !..

والحرف العربي ، يخلق مشكلة في نظر « دعاة الاصلاح الحرفي » تجب معالجتها وحلها .

والحق ، مهما غلا العربي بحب الحرف العربي ، فان الواقع ليشهد ان الحرف اللاتيني اقرب مبنى ، وأجمل قالبا وشكلا وأقوم صورة من الحرف العربي . فهذا بوضعه الراهن ، لا يلتقي مع اللاتيني في طريق دقيقة واحدة .

نحن والحقيقة نشهد بذلك ، ولكن ثمة شيئا تجب ملاحظته : ان دعاة الاصلاح الحرفي لا يقرون بجمال الحرف اللاتيني ، لانه اجمل من الحرف العربي ، لا ، ولا يدعون لاحلال هذا محل ذاك ، لمجرد قوة الاول ـ اللاتيني ـ وجماله ، وحرمان الثاني من خصائص هذه القوية وهذا الجمال ، وانما ـ وهنا المشكلة التي اوجدها هؤلاء ـ لانهم يقولون ان تعلم الحرف العربي صعب مستصعب ، وانه يعيق ـ هذا ما يدعونه ويزعمونه ـ تطور الفكر العربي ، ونحن مهما جانبنا هؤلاء في رغابهم الاصلاحية ، فان زعمهم القائل ان حالة الحرف العربي الراهنة تقف دون رقي الفكر العربي ، أمر باطل قياسا ومنطقا : لان العقول المبدعة التي أبدعت نواة الحضارات والعبقريات السالفة والمعاصرة ، كان الحرف في عهدها معدوما او مشوشا ، كما كانت وسائل الطباعة والنشر غير موجودة . مع ذلك منح ذوو هاتيك العقول الفذة ، دنيانا الحاضرة ، روعة الافكار الحية الخالقة النامية .

والحرف العربي ، مذ وجد ، له حركات عديدة ، تلفظ دون ان يساعده حرف اخر ، كما في الفرنسية او الانكليزية مثلا . وهذه ميزة خاصة بالحرف العربي ، وهي ميزة توفر على الكتابة كثيرا من الوقت ، ولو قدر للحرف العربي ان يتخلص من « النقاط » التي أزالت اعجامه ، لكان ارقى الحروف . فللحرف العربي الحركات: الفتح والكسر والضم ، والسكون الذي هو حركة في واقعه . فنحن حين نقرأ الكلمة « كتب » ـ مثلا ـ نجدها مؤلفة من ثلاثة احرف هي « ك.ت.ب. » ، ولكل حرف حركة ، وهذه الحركة تؤلف بطبيعتها حرفا اخر ، تخلص منه الحرف العربي ، وهذه خاصة راقية ، اذ لو رسمنا احرف تلك الكلمة باللاتينية مثلا ، لكانت Cataba

أي بزيادة ثلاثة احرف على الاصل العربي ، فالحرف العربي ، اذن ، حرف فيه حركة ، فيما نرى الحرف اللاتيني جامدا ، وليتحرك فلا بد له من حرف اخر يبعث فيه الحركة . وما دام الحرف العربي متحركا بطبيعته ، فماذا يجدينا اثبات حرف المد مثلا ؟!..

والواقع لو ان صاحب اقتراح اثبات أحرف المد (٢) ، قد اقترح حذفها ، لكان اقرب واقعية الى صميم الهدف الاسمى ، فحين نكتب « مصطفَ » كاسم ، هكذا ، أي بدون الالف اللينة (ى) نجد ان رسمها قريب من حرفيتها ، ذلك لان الحرف الاخير من هذا الاسم ، وهو الفاء ، متحرك بالفتح بطبيعته . ولكنا حين نكتب نفس الاسم بحذف حرف المد ـ كما تقدم او باثباته«مصطفا» ـ ممدودا ـ فاننا نعقد الحرف العربي ، بالكتابة العربية ، تعقيدا مشوشا ، ذلك لان تشابها كبيرا سيقع بين الكلمات ، وسنضطر حكما وواقعا ، الى رسم رموز الحركات : « رَرُوُهْ » على الحرف ، والا تشوشنا وضعنا، ونحن فى كتابتنا الحالية ، في غنى عن رسم الرموز . فعندما نكتب ، مثلا : « كان مصطفا يفتش نفرا مصطفاً من الجند » نجد ان مشكلة جديدة وقعنا فيها ، هي التشابه بين : مصطفا ومصطفاً ، الذي تستغني عنه العربية والحرف العربي ، ولكننا حين نرسم هذا الاسم على حقيقته وبحالته الراهنة « مصطفى » نجده احسن تركيبا ، وأجمل سبكا ، وأوضح تمييزا بينه وبين مشابهه من الاسماء .

يقولون بصعوبة كتابة حروف المد ، فأين هي الصعوبة ؟!

ان لهذه الحروف قواعد واقيسة ، املائية ثابتة ،

(١) فصل صغير من كتاب يعده الكاتب للنشر بعنوان « قضية اللغة العربية »

(٢) الدكتور طه حسين ، وهو اقتراح منذ اكثر من سنتين .

واضحة وبسيطة .

ولا أراني في حاجة لان أسرد أمثلة تطبيقية على قاعدات احرف المد ، فهذه القاعدات معروفة لدى كل متعلم . ولكن لا بد من تبيان ان في اللغة العربية اسماء محدودة تكتب بحذف حرف او اكثر ، منها ، وهذه الحروف شاذة في الكتابة وهي : « هذا ، اله ، الرحمن ، لكن ، طه ، اولئك ... » ، وليس عيبا على العربية ان يتخلل مفرداتها عشرة اسماء شاذة الكتابة ، فمما لا ريب فيه ، انه لا توجد لغة سلمت من هذه العلة .

■

وثمة رأي اخر بكتابة الحرف العربي ، منفصلا ، على غرار اللاتينية المطبوعة ، وهذا الرأي ، رغم ان المقصود منه هو الاسراع في الكتابة العربية ، خصوصا على الالة الكاتبة ، وتجميل الخط العربي وسهولة تعليمه ، فانه — رغم وجاهة الاقتراح — رأي بعيد عن المنطق ، ويؤلف عكس ما يقصد اليه اصحابه .

تعالوا نكتب كلمة ، أية كلمة ، ولتكن « الكتابة » على طريقة المنفصل « ا ل ك ت ا ب ة » فان اول ما نلحظه هو البطء في الكتابة ، واستهلاك كبير في الورق ، وبالتالي صعوبة في القراءة ، فضلا عن اختلاف الحروف وابقاء الكلمة مجزأة ، مفككة ، خطا وطباعة ، جملة وكلمة .

ماذا يقصد اصحاب هذا الاقتراح ؟!..

أصحيح يقصدون باقتراحهم ، الى اصلاح الحرف العربي ؟!

ليسمح لي هؤلاء ان اقول بأنني أشك في أمانة الاقتراح ومباعثه !!..

لقد زاولت بدء حياتي ، تعليم الحرف العربي ، ورغم ان وسائل التعليم يومذاك ، معقدة ، صعبة ، وكتب القراءة البدائية عقيمة ، ركيكة الاسلوب ، فان «الصعوبات» المزعومة ، في تعلم الحرف العربي ، لم تواجهنا — كما يدعون — ولم نتعثر في ذلك او نلق الصعوبة المصطنعة !.

والمشكلة ، في رأيي ، — وأعتقد انه الواقع — ليست مشكلة حرف وتعليم الحرف ، كلا ، وانما هي مشكلة منهج ، وبرنامج وطريقة واسلوب : فالجهود المتضافرة المبذولة « لاصلاح الحرف العربي » ، وهي تهدر وتضيع منطقا وواقعا فلو تضافرت لوضع أساليب ووسائل تعليمية أقرب الى مثالية تعليم الحرف ، لهان ما صعب ، ولتحلل ما عقد ، ولتضاءلت الشكوى وتلاشت اصوات الشكاة .

وفي غمرة هاتيك الشكاوى المتواترة ، وهي قديمة ، طالعنا اقتراح المرحوم عبد العزيز فهمي ، بابدال الحرف العربي ، بالحرف اللاتيني ، ابتغاء ايجاد مخرج من هذا « المأزق » الحرج ، المزعوم ، كتابة الحرف العربي وصعوبتها . واعلن — رحمه الله — جائزة كبرى تعادل نصف ثروته الضخمة ، لمن يستطيع ان يلائم بين الحرف اللاتيني واللغة العربية . وقد استجاب لرغبته عدد من المفكرين ، عربا ومستشرقين ، فعالجوا الاقتراح ، وحاولوا عبثا ، اخضاع العربية للحرف اللاتيني ، ذلك لان الحرف العربي انما هو عربي المولد ، عربي النشأة ، عربي التطور ، عربي الطبيعة . وان الحرف اللاتيني عنصر غريب ، دخيل على الحرف العربي ، فكان بدهيا ان تفشل الرغبة ، وان يعتصم الحرف العربي في حرم طبعي ، تاريخي ، يصونه من عاديات الزمن ، ويحفظ له كيانه الاصيل الذي خلق له ، وحلقت العربية ، مجسدة كلمة ، فيه .

واذا ظهر اقتراح عبد العزيز فهمي على صعيد المستحيل ، منطقا وواقعا وعملا ، جاء مفكرون اخرون ، يقلبون وجهات النظر ويعملون العقل في اقتراح جديد . وكان بين هؤلاء الدكتور ابو غزالة ، الذي نادى بابقاء الحرف العربي ، شريطة تهذيبه ، وارتأى ان يحذف قسم من الحرف المفتوح او المعقوف ، بحيث تثبت كتابة الحرف العربي على صورة واحدة . اذ انه معلوم ان الحرف العربي ، علاوة على حركاته المعهودة ، يكتب على اشكال متشابهة حينا ، مختلفة حينا اخر ، حين يدخل في تركيب الكلمة ، اي ان الحرف يكتب على حالات ، تتغاير من حالة الفردية الى التركيبية .

فقد قال الدكتور ابو غزالة ، تسهيلا للكتابة ، وبخاصة الالة الكاتبة والطابعة العربيتين ، باثبات الحرف العربي على حالة واحدة . ولنأخذ على سبيل الدراسة والنقد ، نموذجا من امثلة الحرف « ب » ، يرسم هكذا « ب » اي بحذف الجزء الاخير منه ، وبذلك نكتب « باز ، زبر ، بزر ... » ويحذف ايضا الجزء المعقوف من حرف « ع » حيث يصبح « ع » ، ويكتب : عذب ، لعب ، بدء ... » . ومع وجاهة المجهود ونبل المقصد ، فان هذه الصور الحرفية الجديدة ، تشوه الحرف الاصلي وتزيد في تعقده ، وتفقده بقية من جمال ودقة واتقان ، ويختلط على القارىء كثير من الاحرف ويصبح الحرف العربي رمز تضليل وابهام ، بعد ان كان رمز فصاحة وبيان !..

ونحن نعلم ان الحرف اللاتيني يكتب ايضا على صور متعددة بين صغير وكبير ومنمق .

وغير ذلك كثير .

ولعل أخطر حدث في تاريخ الحرف العربي ، هو الحديث ، هو المحاولة التي يقوم بها الشاعر الاستاذ سعيد عقل ، لابدال الحرف العربي ، وهي محاولة ، أسرع فأقول بكل نزاهة وايمان ، تمسخ اللغة العربية مسخا ، وتشب ، ويشب بنوها غرباء عن عروبتهم ، أجانب في استلقاء الهام لغتهم ، والافادة من تراثهم الفكري . ولنا دراسة خاصة حول هذه المحاولة ، سنعود اليها قريبا ، لنسجل للتاريخ وللحقيقة ، جوهرهما وما يعتري هذين الجوهرين من شوائب !

جامعة دمشق — كلية الاداب

اسماعيل عدره